ليلةٌ أخرى

أعلنت الساعة بثقة وقسوة أنها الثانية صباحاً وهى لم تنم بعد. "وبعدين بقى؟" لم تنم منذ بضعة أيام. وكان هذا بادياً على وجهها وعلى عينيها اللتين فقدتا البريق. وجدت رسالة قصيرة من صديقةٍ لها "إنت لسّة صاحية؟" فردت بالإيجاب. "ليه مالك؟" لم ترد. وعلا صدى صوت زياد الرحبانى فى جنبات روحها." كل ما بتسألنى كيفك ... بتذكر أنى مش منيح ... يعنى بتعرف ... لو بلاها السؤال! أوميلى بايدك بس تلتقى فيّا. بكون ممنونك .. يعنى لأنه صراحةً .. أنا مش منيح .. تركنى خىّ .. أنا بيني وبين حالي .. ماشي ..ع أساس إنه يلا منيح .. ماشى الحال.

وفى الظلام أدركت أن رأسها على وشك الانفجار. "البانادول فين؟ تحسست طريقها إليه. ألقت قرصين في فمها. مرّت ساعة. لا شيء. مازال التفكير يعتصر خلايا عقلها وينهكها. حاولَت النوم. "مفيش فايدة". ظلام .. وهي لا تزال تحدق في سقف الحجرة. وتأبى العينان أن تغمضا ..تستمع لصوت فيروز الرقيق في محاولة أن تساعدها جارة القمر: "بآخر الليل؟! شو ها المزحة؟ هي تحاول مع أغنية أخرى. "وبيضل تذكار عن مشهد صار .. فيه خبز .. فيه مِلح كل اللي صار وبعد يصير ..الله كبير"

تسرّب ضوء الفجر الخفيف برقة إلى داخل الغرفة، ولكنها لم تتأثر. كانت تعلم أنه يومٌ أخر سينتهى بليلةٍ أخرى بلا نوم .. واستمر زوار الفجر فى.. فيه رضا" محاولة أخرى "... من يوم ما شو عاد صار ع مدى كذا نهار .. ما صار شي كتير ..

عقلها باستجوابها وتعذيبها حتى الصباح وحتى بكت. وأعلنت الساعة أنها السابعة، فاعتدلت في جلستها، ونظرت إلى الهاتف. كأنما انقسمت بداخل شرنقتها نصفين: نصفُ يريد الخروج .. ونصفُ يؤْثِر البقاء وحيداً. وقررت أنه حان وقت التدخل الأقوى .. حبات النوم! "انشالله أنام ساعة واحدة!" وفى الظلام ابتلعت القرص الصغير. وشعرت بالبرد يسري في أطرافها. حكمت الغطاء حولها واستلقت على جنبها. مرّت بضع دقائق .. ثم شعرت به بجانبها. شعرت به يحتضنها كطفلة صغيرة. يده اليمنى تمسك يدها اليمنى. وذراعه اليسرى تلتف حولها تدفئها. أجفلت. كادت أن تفتح عينيها، ولكنها أغلقتهما بشدّة .. كانت تعلم أنها لن تراه .. لأنه ليس هنا. كانت تعرف أنها لعبة عقلها الباطن.

مدت يدها لتربت على يده فوجدتها دافئة. لمَّسّت أصابعه التي طالما أحبتها. اليد التي كانت تملك بها الدنيا. "بس ده حلم". نعم كان حلماً، ولكنه جعلها تنام كطفلة منهكة. فمسكت يده ونامت. أفاقت. نظرت لساعة الحائط. نامت ساعتين. كانت لا تزال تريد النوم ولكنه لم يعد هناك. "كنتْ عارفة إنه حلم بس سبته يكمل

عشان أعرف أنام.." شعرت كأنما مرّت عليها شاحنة دهستها. مرت من أمام المرآة ولم تنظر فيها، وتذكرت كلمات صديقتها بالأمس. "مال عينيكي داخلة لجوّة كدة؟" حاولت رفع شعرها لتبدو أكثر آدمية. "إيه المنظر ده؟! خليه نازل على وشي أحسن "

ذهبت لإعداد القهوة الصباحية. قليل من السكر خارج الفنجان، "ده لازم !" بسبب الرعشة الخفيفة في يدها. وطمأنها الطبيب سابقاً: "عادى ما تخافيش موجودة عند ناس كتير". ولذلك دوما ما تملأ فنجانها للنصف فقط تجنباً لأي حوادث .تمسح وجهها بيدها في محاولة لتفيق، فتجد رائحة عطرة في يدها .. قوية وعميقة .."غريبة.." وقفت بجانب النافذة الصغيرة ونظرت للسماء، ورفعت الفنجان لشفتيها. واختلطت بقايا عطره فى يدها برائحة البُن. فصنعت مزيجاً رائعًا من رائحة الحب والحزن .وغمرها شعور معقد بالامتنان والحب والحنين واللوم والغضب تجاه هذا الرجل الذي ساعدها في التخلص من رعشة الخوف بداخلها. وأهدى يديها رعشةً خفيفةً ستظل رفيقتها... "لحد ما أموت".